

اهتمامات النخبة الجزائرية بالثورة التحريرية في الصحافة التونسية 1954. 1962 م

محمد سريج

الملخص:

ساهمت النخبة الجزائرية المتواجدة بتونس أثناء الثورة 1954. 1962 م . من خلال كتاباتها في الصحافة التونسية كجريدة "العمل" و "الصباح" و "الاستقلال" وغيرها وفي مجلات منها "الفكر" و "الندوة" ، في التعريف بالثورة و التنديد بالاستعمار و الإشادة ببطولة الشعب الجزائري و كذا الحديث عن اللاجئين و المرأة و دعوة الشباب للتعبئة ، و أهم الذين برزوا في هذا الشأن منهم : الطاهر وطار ، و عبد الحميد بن هدوقة في القصة و غيرهم و صالح خباشة و صالح خرفي و مفدي زكريا و غيرهم كثر في فن الشعر ، إضافة إلى يحي بوعزيز و محمد الصالح الصديق و محمد البشير الإبراهيمي في فن المقال .

الكلمات المفتاحية :

النخبة ، الثورة ، الصحافة ، العمل ، الاستقلال ، الجزائر ، تونس ، الشعر ، القصة ، اللاجئين .

Abstract

The Algerian elite that was existent in Tunisia during the revolution (54 – 62) contributed through its writings in the Tunisian journalism, such as the newspaper of Al-Amal , El-Sabah, El- Istiqlal and others, like the magazine of El-fikr and El-nadwa to defining the revolution and denouncing the colonialism, praising the Algerian people and talking about refugees , women and invite the young people to subordination .the most prominent in this regard are : Tahar ouettar , Abdelhamid Benhedouga , salah khabacha ,salah zorgui , Moufdi Zakaria in the art of the poetry. in addition to Yahia bouaziz , hamid laaban essedik and Bachir El Ibrahimi in the art of the article.

كانت النخبة الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين و حتى أثناء الفترة الاستعمارية 1954 . 1962 على صلة وثيقة بالصحف التونسية ، فوجد الجزائريون ضالّتهم في هذه الصّحف على مختلف أنواعها ، سيما الدستورية منها أو المقربة من

• أستاذ محاضر "ب"، تاريخ حديث و معاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الشلف

الحزب الدستوري ، فاعتبرت تونس متنفس للمثقفين الجزائريين ، خاصة مع انطلاق الثورة المسلحة التي فجّرت مواهب النخبة الجزائرية ، و فتحت أمامهم آفاقا واسعة من خلال أحداثها و معاركها الكبرى و أنواع البطولة و الشجاعة التي كان يبدونها أفراد جيش التحرير الوطني و من صمود الشعب الجزائري و تضحياته الجسيمة و تعرضه لكل أنواع التقتيل و التعذيب و التشريد في سبيل الحرية و ما صحب ذلك من أحداث و تطورات سياسية و تغيرات جذرية في الأفكار و الاتجاهات سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فهذا المناخ الثوري التحرري كان من العوامل الأساسية التي بعثت الحركة الأدبية و أخرجها من الركود الذي كانت تعج فيه قبل 1954 .

من جهة أخرى عرفت تونس آنذاك حركة فكرية و أدبية و صحفية كبيرة مما سهل على النخبة الجزائرية العمل، بل و المساهمة الفعّالة ضمن عديد الصحف التي كانت تعج بهم تونس كـ " العمل" ¹ و " الصباح" ² و "الاستقلال" ³ ، و غيرها و بعض المجلات منها : مجلة " الفكر" ⁴ و كانت هذه الوسائل الإعلامية منبرا و وسيلة لنشر الوعي السياسي و القومي لدى الجزائريين من الفئة المثقفة التي أجبرتها الظروف السياسية و الثقافية و الاجتماعية على النزوح إلى بلدان مختلفة و منها تونس التي احتضنت العديد

¹. جريدة العمل ، يومية تونسية ، ناطقة باللغة العربية ، تأسست في جوان 1934 تحت إدارة حبيب بورقيبة ، ناطقة باسم الحزب الدستوري الجديد ، توقفت من قبل السلطات الفرنسية في أوت من نفس السنة ، عادت للظهور في 25 أكتوبر 1955 بنفس الخط السياسي ، و تحت إدارة حبيب بورقيبة ، ثم ترأسها قياديون آخرون بعد تولي بورقيبة الحكم ، بقيت تصدر منذ ذلك الوقت إلى غاية 1988 أين توقفت نهائيا .

². جريدة الصباح ، جريدة سياسية إخبارية جامعة أصدرت أول أعدادها يوم الفاتح نوفمبر 1951 م ، قريبة من الحزب الدستوري الجديد و مديرها الحبيب شيخ روحه ، تعتبر من الجرائد التي ناصرت الثورة التحريرية منذ انطلاقتها إلى إعلان الاستقلال ، و اعتبرت نفسها جريدة المغرب العربي كونها كانت تهتم بقضايا المغرب العربي في كل موادها الإعلامية ، ما تزال تصدر بتونس إلى يومنا هذا

³. جريدة الاستقلال: جريدة أسبوعية سياسية إخبارية جامعة ، اللسان الرسمي للحزب الدستوري الحر التونسي القديم ، و أصدرت أول أعدادها يوم 30 ديسمبر 1955 ، و آخر أعدادها صدرت في 22 أفريل 1960 عارضت اتفاقيات الاستقلال الداخلي و مجلة الأحوال الشخصية.

⁴. تأسست في شهر أكتوبر 1955 واكبت الثورة الجزائرية مما جعلها بحق حتى الاستقلال نشرت إنتاجا فكريا و أدبيا كبيرا عن الثورة التحريرية و لم يقتصر نشرها للأخبار العامة و أخبار المعارك بل تضمنت إنتاجا وافرا من المقالات و القصائد و القصص و المسرحيات و غيرها، ترأس تحريرها محمد مزالي ، و كتب فيها العديد من الجزائريين منهم : الطاهر و طار و مصطفى الأشرف و صالح خرفي و رشيد بوجدر و الجنيد خليفة و حنفي بن عيسى و عبد الله ركيبي و غيرهم....

من الطلبة الذين تحولوا إلى كتاب و صحفيين و مؤرخين و غيرهم، استغلوا فرصة وجودهم هناك ليكونوا عوناً، بل و رافداً مهماً للثورة من الناحية الفنية و الأدبية و الفكرية مقتنعين بأن الثورة ليست بالسلاح فقط ، بل القلم أيضاً له دوره و يحقق هدفه المنشود و لعل أهم العوامل التي ساعدت الجزائريين على وجودهم بتونس ما يلي : - انضمام جميع القوى السياسية و الوطنية، أحزابا و طلابا و نقابات، تحت لواء جبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للشعب و الثورة .

- محاولة القيادة التونسية الاقتراب أكثر من جبهة التحرير الوطني و مساعدتها حتى لا تكون مادة خصبة لتأثير الفكر القومي الناصري و الشيوعية و أنصار صالح بن يوسف .

- وجود عدد كبير من التونسيين الذين ينحدرون من أصول جزائرية يتعاطفون مع الثورة ، ووجود بعثات طلابية في جامعة الزيتونة و مدرسة الصادقية - تعاون و تعاطف عدد من السياسيين و المثقفين التونسيين في الحزب الدستوري التونسي الجديد و في جامع الزيتونة و في الصحافة .

- الدعم و التشجيع الذي كانت تقدمه جبهة التحرير الوطني للأقلام الجزائرية بتونس من أجل المساهمة في المعركة المصيرية التي تقودها جبهة التحرير الوطني و الشعب الجزائري ضد الاستعمار .

في ظل هذا المناخ، ارتأت النخبة الجزائرية العمل على الكتابة الأدبية بمختلف فنونها، بغية المساهمة و لو بأضعف الإيمان معتبرين القلم هو الآخر له دوره في صيرورة الثورة التحريرية، و عليه فالسؤال الذي نود الإجابة عليه هو: من هم الكتاب الجزائريون الذين ساهموا في التعريف بالثورة و أحداثها في الصحافة التونسية في الفترة من 1954. 1962 م ؟ وما نوع الفنون الأدبية التي برعوا فيها هناك ؟

01. الأقلام التي كتبت عن الثورة الجزائرية في تونس :

لا شك أن المتفحص لتلك الأقلام و المتتبع لنشاطها و إبداعها ، يلاحظ أنّ معظم تلك الأقلام كانت تنتمي لبعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جامع الزيتونة للدراسة ، و هؤلاء الطلاب متشبعين بالثقافة العربية الإسلامية و مشحونين بالوطنية و مستعدين للتغيير ، فلما اندلعت الثورة فكانت الشرارة التي فجرت فيهم طاقة الإبداع ، فانطلقت أقلامهم ترسم وجه الثورة المشرق ، و تبرز ملامح الكفاح و التحدي و من أبرز هؤلاء الطلاب : الطاهر وطار¹ الذي ساهم في تحرير جريدة "الصباح" و مجلة "الفكر"

¹ الطاهر وطار ، من مواليد 1936/08/15 ، بضواحي سدراتة ، درس بمعهد عبد الحميد بن باديس و جامع الزيتونة حتى سنة 1956 ، التحق بالمنظمة المدنية لجبهة التحرير ثم عمل صحافياً ، و رئيس تحرير ، تقلد عدة مناصب منها مديراً عاماً للإذاعة الوطنية سنة 1990، رئيس

من 1956 إلى 1962 و عبد الحميد بن هدوقة¹ أيضا ساهم في النشاط الإذاعي و مجلة الإذاعة²، كما ساهم جزائريون آخرون في جريدة "الزيتونة" و "العمل" و "مجلة اللغات"³، عبد الله الركيبي⁴، صالح خرفي⁵، أبو العيد دودو، الجنيدى خليفة، أبو القاسم سعد

الجمعية الثقافية الجاحظية، له عدة روايات مترجمة نشرها أثناء الثورة في جريدة الصباح والعمل و في أسبوعية لواء البرلمان التونسي و أسبوعية النداء و مجلة الفكر التونسية، أسس عام 1962 أسبوعية الأحرار بقسنطينة و عام 1963 أسبوعية الجماهير و سنة 1973، أسس أسبوعية الشعب الثقافي، له مجموعة قصصية منها: دخان من قلبي (تونس 1961)، الشهداء يعودون هذا الأسبوع (1971)، و الروايات له: "اللاز" (1974)، ترجم عرس بغل (1983) و غيرها من عشرات الأعمال توفي يوم 2010/08/12. ينظر: عاشور شرفي، الكتاب الجزائريون، قاموس بيوغرافي، تع: مصطفى ماضي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2008، ص 331.329.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، كاتب و روائي ولد بالمنصورة برج بوعريج في 1925/01/09 درس في المدرسة الابتدائية ثم الكتانية في قسنطينة و في 1949، سافر إلى مرسيليا و حصل على شهادة الإخراج الإذاعي بالفرنسية ثم رجع إلى الكتانية و درّس بها ثم ذهب إلى تونس، نال الشهادة العالمية في الأدب من الزيتونة، تقلد عدة مناصب منها مدير المؤسسة الوطنية للكتاب و رئيس المجلس الأعلى للثقافة و عضو المجلس الاستشاري الوطني له أعمال عديدة منها: ربح الجنوب التي ترجمت إلى عشر لغات و رواية نهاية الأمل و بان الصبح، و ترك العديد من المجموعات القصصية، توفي يوم 26 أكتوبر 1996 عن عمر ناهز 71 سنة. ينظر: المرجع نفسه، ص 97.95.

² محمد صالح الجابري، "من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس و الجزائر"، مجلة الحياة الثقافية، العدد 32، تونس، 1984، ص 23.

³ نفسه، ص 13.

⁴ عبد الله الركيبي، ولد في بسكرة عام 1928، زاول تعليمه الابتدائي في الجزائر ثم انتقل إلى تونس، تخرج منها سنة 1954، شارك في جبهة التحرير الوطني مناضلا و مسؤولا، اعتقل في أفلو لمدة أحد عشر شهرا، و أرغم على الإقامة الجبرية في بسكرة، فر منها و التحق بالاوراس ثم إلى تونس، و عمل موظفا بالمدرسة الصادقية، نال شهادة الليسانس من القاهرة عام 1964 و الماجستير عام 1967 و الدكتوراه في الأدب عام 1972، شغل في الحقل السياسي منها سفير في سوريا 1994 و 1996 و عضو مجلس الأمة 1998. 2000. له عدة مساهمات في الجرائد التونسية منها الصباح و الفكر، طبع له كتاب في تونس "مصرع الطغاة 1959"، و في سنة 1962، أصدر مجموعة قصصية بعنوان "النفوس الثائرة" "حد العدم" و في سنة 1969 أصدر كتاب "القصة القصيرة في الأدب الجزائري الحديث و كتاب الاوراس في الشعر العربي في القاهرة و تأليف أخرى. توفي يوم 2011/04/19. عاشور شرفي، مرجع سابق، ص 161.

⁵ صالح خرفي، شاعر جزائري ولد في القرارة بغرداية عام 1932، التحق بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1938، أكمل دراسته الابتدائية ثم الثانوية، التحق سنة 1953 بجامعة الزيتونة و المدرسة الخلدونية بتونس، التحق سنة 1957 بكلية الآداب بالقاهرة، و نال شهادة الليسانس في اللغة العربية و آدابها سنة 1960، و الماجستير سنة

الله، بوروح أحمد، صالح خباشة¹،....، وأقلام جمعية العلماء: عبد الرحمان شيان، محمد الصالح الصديق²، نعيم النعيمي، البشير الإبراهيمي³، وآخرون منهم : عبد الله شريط، مفدي زكرياء⁴، عبد القادر السائحي، محمد ديب، مصطفى الاشرف، يحي بوعزيز¹ و العديد

1966 و الدكتوراه سنة 1970، شارك في العديد من المهرجانات و المؤتمرات الوطنية و الدولية تقلد عدة مسؤوليات ذات الطابع الثقافي توفي في 1998/11/23، له دواوين شعرية منها : أطلس المعجزات 1967 و شعراء من الجزائر 1969، صفحات من الجزائر 1974، الشعر الجزائري الحديث 1975، و في سنة 1978 أصدر ديوان الجزائر و الأصالة الثورية و سنة 1982 أصدر شعر المقاومة الجزائرية و غيرها من المؤلفات. المرجع نفسه، ص 149. 150.

¹. صالح خباشة، شاعر، اسمه الكامل صالح بن بابا بكير خباشة، ولد في 1933/05/16 في القرارة (غرداية)، زاول تعليمه الابتدائي في مدرسة الحياة، ثم التحق بمعهد الحياة لمزاولة التعليم الاكاديمي في نفس المدينة، و في سنة 1954 أرسل إلى تونس لمتابعة دروس بجامع الزيتونة، و نال شهادة التحصيل البكالوريا سنة 1957، أرسل إلى بغداد ضمن بعثة جهة التحرير الوطني و تخرج فيها سنة 1961 بشهادة البكالوريوس في اللغة و آدابها، كان يكتب الشعر في الصحف التونسية و العراقية باسم ابن بابا صالح الجزائري، بعد الاستقلال التحق بالتعليم و بقي إلى أن تقاعد سنة 1991، له العديد من المجموعات الشعرية منها : " الروابي الحمر " 1982، توفي في 2016/09/16 عن عمر ناهز 86 سنة. ينظر : المرجع نفسه، ص 148.

². محمد الصالح الصديق، من مواليد 1925/12/19 بتيزي وزو، حفظ القرآن الكريم ثم التحق بجامع الزيتونة من 1947 إلى 1951، كتب في صحيفة الطالب الزيتوني، و مجلة الشباب التحق بالثورة علنا سنة 1957، عين مسئول الإعلام الثوري في ليبيا من 1958 إلى الاستقلال، بعدها عاد إلى التعليم و أنتج عدة برامج في الإذاعة الوطنية و التلفزيون من 1968 إلى 1997، له عدة مؤلفات تفوق المائة منها : أدب التحصيل و مقاصد القرآن و من بطولة الجزائر: حديث شخصي مع الأستاذ محمد الصالح الصديق بتاريخ 2013/12/10.

³. محمد البشير الإبراهيمي، كاتب و أديب ومصلح، ولد في 1889/07/14 بأولاد ابراهيم، كفله خاله الذي لقنه العلوم الإسلامية الأساسية، أقام بالمدينة و التقى بن باديس، أتم دراسته في الحجاز ثم التحق بدمشق في الجامع الأموي الكبير أي غاية عودته إلى الجزائر عام 1920، أسس عام 1931 مع ابن باديس و ثلة من علماء الجزائر جمعية سميت بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بعد وفاة رئيسها ابن باديس تولى البشير الإبراهيمي رئاستها، في 1952 غادر الجزائر إلى المشرق العربي و أشرف على الطلبة الجزائريين في بعض الجامعات العربية، أقام بالقاهرة ثم باكستان ثم القاهرة من جديد، عاد إلى الجزائر سنة 1962، و بقي مختلفا مع النظام السياسي آنذاك إلى أن توفي سنة 1965 له مجموعة من المؤلفات منها : عيون البصائر 1963 آثار الإبراهيمي 03 مجلدات 1979، 1982، 1983، و في قلب المعركة 1954، 1962، 1994، ينظر : المرجع نفسه، ص 16. 17.

⁴. الشاعر مفدي زكريا، من مواليد 1908/04/12 بقرية بني يزقن جنوب الجزائر، تلقى التعليم الابتدائي بمسقط رأسه ثم انتقل إلى الزيتونة، بدأ نشاطه السياسي في سلك الشبيبة الدستورية عام 1922، ثم في نجم شمال إفريقيا عام 1926 ثم في حزب الشعب الجزائري، سجن سنة 1937 بتهمة التآمر على النظام، و لما أطلق سراحه انضم إلى حركة انتصار

من الأسماء التي تبدو مغمورة أو كانت تكتب بأسماء مستعارة منهم : الحبيب بناسي²، عبد الحق شريط، محمد مخلوفي الجزائري، عبد السلام الجزائري، محمد الصالح بن ترعة، سالم ضيف، محمد عبد الله التواتي . كريم محمد ، عبد الحميد بن علي القسنطيني، الصادق الحفناوي ، أبو زيد عدنان و بعضهم يكتفي بكتابة الاسم فقط مثل :رحيم، مليكة، عيسى ...

هذه الفئة تختلف في العطاء الفكري ، الكمي و النوعي فالبعض لم ينشر بتونس طوال الثورة لطبيعة عمله في بلدان أخرى سوى عملا واحدا مثل البشير الإبراهيمي و أبو القاسم سعد الله و نعيم النعيمي ، كما أن بعضهم توقف عن الكتابة سنة 1957 كعبد الله شريط ليعمل في مهام أخرى ، بينما توقف الركيبي و الجنيدي خليفة و أحمد بوروج بين سنتي 1985 و 1959 و منهم من عاد إلى الجزائر ليستشهد في ميدان الوغى منهم الحبيب بناسي و محمد الأخضر الأخضر السائحي³

الحريات الديمقراطية ، و في أفريل 1955 أُلّف النشيد الوطني ، أعيد إلى السجن في 1955/04/12 ، قضى ثلاث سنوات متنقلا بين السجون ، و بعد الإفراج عنه انتقل إلى تونس و عمل صحفيا في جريدة المجاهد ، بعد الاستقلال فضل الاشتغال بالتجارة وواصل نظم الشعر فأخرج لنا رائعة إلياذة الجزائر ثم اختار تونس منفى له ، و بقي هناك حتى توفي إثر سكتة قلبية يوم 1977/08/17 ، من مؤلفاته " اللهب المقدس" و غيرها .عبد الله مقلاتي ، قاموس أعلام شهداء و أبطال الثورة الجزائرية ، ط1، دار بلوتو للنشر ، الجزائر ، 2008 ، ص.ص 493 .494

¹ . يحي بوعزيز" من مواليد الجعافرة بولاية برج بوعريج ، درس بالكتاب ثم في زاوية الحاج حسن الطرابلسي بعنابة و في جامع الزيتونة ، حصل على شهادة التحصيل سنة 1956 ، انتقل عام 1957 إلى القاهرة ، تحصل على شهادة الليسانس في التاريخ ، كتب في الصحافة التونسية عن القضية الوطنية ، و انخرط في صفوف الحركة الوطنية ، و جمعية الطلبة الزيتونيين، بعد الاستقلال عمل في قطاع التعليم و واصل دراسته الجامعية ليصبح أستاذا بجامعة وهران إلى غاية تقاعده منها عام 1996 ، توفي عام 2007 ، و له عدة مؤلفات و مقالات تاريخية. ينظر : عصام سليمان الموسى و آخرون ، أعلام الصحافة في الوطن العربي ، الموسوعة الصحفية العربية ، ج 6 ، المجلد 1 ، تونس ، 1997 ، ص 131 .

² . الحبيب بناسي ، ولد في 1928/12/13 بمشيرة بالقرب من سعيدة ، مناضل في حزب الشعب الجزائري خلال اندلاع الثورة ، نشر العديد من المقالات بتونس يشرح فيها أهمية الثورة و إشعاعها ، كلف من قبل جبهة التحرير الوطني بتشكيل خلايا ثورية داخل المدن في مدينة بلعباس ، استشهد سنة 1956 بمدينة تلاغ ، استشهد و البندقية في يده يوم 1956/12/15 عن عمر 28 سنة ، و ترك لنا نصا سرديا عنوانه صرخة القلب . ينظر : عاشور شرقي ، مرجع سابق ، ص 99.98

³ . محمد الأخضر السائحي ، ولد عام 1887 ببلدة عمر بتقرت ، حفظ القرآن ، التحق بالزيتونة لمواصلة الدراسة ، و هناك بدأ نضاله ضمن جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين منذ

02. أنواع الفنون الأدبية التي ساهم بها الجزائريون في الصحافة التونسية:

هي كتابات عديدة من التنديد بالاستعمار و ممارساته القمعية في حق الجزائريين و الإشادة ببطولة الشعب الجزائري أمام جحافل الاستعمار ، كما كان للمرأة نصيب من اهتمامات النخبة الجزائرية هناك ، و دور الشباب في التعبئة و معاناة اللاجئين الجزائريين أيضا ، و أخيرا إبراز دور أدب النضال في الثورة ، هي أعمال يمكن تصنيفها ضمن ثلاث أشكال¹ من الكتابة الأدبية :

أ. **نظم الشعر** : ما يلاحظ في هذا الجانب أن أغلب الشعراء نشروا قصائد حول الثورة² ، ينتمون في الأصل إلى الجنوب الجزائري المشبع بالحضارة العربية الإسلامية والى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو متعاطفين معها مثل "مفدي زكريا" و "عبد القادر السائحي" و "صالح خرفي" و "صالح خباشة" ، نشر هؤلاء أكثر من سبعين قصيدة ، نشر أغلبها في مجلة "الفكر" و جريدتي "الصباح" و "العمل" و في جرائد متخلفة و هي تتوزع كالآتي ثماني عشرة قصيدة لصالح خرفي الذي يلقب بابي عبد الله و قد جمعها مع قصائد أخرى و نشرت في ديوان أطلس المعجزات ، و نشرت لمفدي زكريا الذي كثيرا ما لقب بابن تومرت ثم شاعر الثورة سبع عشرة قصيدة نشرت بالمغرب و المجاهد و بلغ مجموع قصائده حول الثورة خمسا و خمسين قصيدة بين 1954 و 1961 ، جمعها في

عام 1947 ، استجاب لنداء الواجب الوطني في فيفري 1957 و التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة ، استشهد يوم 1961/11/07 في معركة بنواحي عين بوسيف ولاية المدية . عبد الله مقلاتي ، مرجع سابق . ص 314 .

¹ . من الأعمال الأدبية القليلة هو المسرح : الذي تعتبر أعماله قليلة التي نشرت بتونس ، و من كتبوا في هذا الفن الأدبيقلة ، ربما كونهم لم يكونوا من رجال المسرح ، و من أبرز تلك المسرحيات ، مسرحية "الباب الأخير" لمصطفى الأشرف التي بعث بها من السجن و نشرها في مجلة الفكر في عددها شهر جويلية 1957 ، و في سنة 1959 أخرج عبد الله ركيبي مسرحية " مصرع الطغاة" و تعتبر المحاولة الأولى و الأخيرة للكاتب ، و يبقى الطاهر وطار من أكثر الذين كتبوا في الفن المسرحي حيث أنتج سبعة أجزاء لثلاث مسرحيات ما بين 1960 و 1962 أبرزها على الضفة الأخرى من ثلاثة أجزاء و الأميرة جزاين و الهارب جزاين نشرت كلها في جريدة الصباح و هي مستوحاة من الكفاح و النضال الذي كان يخوضه الشعب الجزائري في المرحلة الأخيرة و الحاسمة من تاريخ الثورة .

² . أغلب ما نشر من الشعر هو ذلك الذي ينتمي للشعر الحر ، الذي لا يخضع للوزن و القافية ربما وجوده وسيلة سهلة لتبليغ رسالتهم النوفمبرية ، ضف إلى ذلك أن بعضهم ليس متخصصا في الأدب و إنما هاو له فقط ، بينما الذين انتحوا منى الشعر العمودي نجد على رأسهم الشاعر الكبير مفدي زكريا .

ديوان اللهب المقدس ، و باقي الشعراء نشروا أقل من ذلك منهم : صالح خباشةاستلهمت هذه القصائد من الثورة و أحداثها أو مواضيع لها علاقة مباشرة بالحرية و الاستقلال و وحدة الشمال الإفريقي و الاعتزاز و التفاخر بالماضي الحضاري و حسب محمد الصالح الجابري فإن هذا الشعر : "...انطلق قوميا عربيا إسلاميا شعراؤه يستجيبون بسخاء و اندفاع"¹

ب. الفن القصصي : هذا النوع من الفن الأدبي حظي بعناية كبيرة ، بعد قيام الثورة ، فتفجرت ينابيع العطاء لدى عدد من الجزائريين في تونس خاصة، و يؤكد هذه الحقيقة عمر بن قينة² قائلا : " القصة الجزائرية الفنية الناضجة خاصة باللغة العربية قد ولدت مع الثورة الجزائرية 1954 ، لأن الثورة كانت الحلم العذب الذي طالما راود النفوس..."³ ، و من أوائل القصص التي نشرت بتونس خلال الثورة قصتان لمحمد ديب الأولى بعنوان : "الوطن" نشرت في مجلة "الندوة" عدد جانفي 1955 و الثانية بعنوان "كلنا جناة" في نفس المجلة عدد فيفري 1955 و القصتان تدور أحداثهما حول وحدة الشعب الجزائري و استعداده للتضحية في سبيل الحرية "و في سنة 1956 نشر الحبيب بناسي قصته : "مأساة أسرة" في جريدة "الزيتونة" عدد 23 مارس 1956 تصور مدى البؤس و القهر و الفقر الذي سلطه الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري الذي تحرك في سبيل الحرية و أعقبا قصتان في نفس السنة الأولى بعنوان "شهيد بلا قبر" و الثانية بعنوان "الدكتور الشهيد" و لم يقتنع بناسي بعمله فالتحق بالثورة ليجاهد رفقة

¹. محمد شطبي ، العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية 1954. 1962 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية ، قسم التاريخ و الآثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009 ، ص 159 .

². عمر بن قينة ، من مواليد 1944 بمجدل بالمسيلة ، تلقى دراسته الجامعية بجامعة الجزائر عام 1972 ، و المدرسة العليا للأساتذة عام 1973 ، توج بشهادة الدراسات المعمقة عام 1976 ، و الدكتوراه الدرجة الثالثة عام 1982 و دكتوراه دولة عام 1992 ، عمل في التعليم الثانوي خمس سنوات من 1973 إلى 1978 ، التحق بجامعة قطر عام 1997 إلى 2000 ، و صنعاء 2001/2000 و جامعة الملك فهد عام 2003 ، هو كاتب و باحث و قاص و روائي له عدة مؤلفات منها : ابن باديس 1974 ، ملاحظات من صميم الحياة 1982 ، شخصيات جزائرية عام 1983 ، أشكال التعبير في القصة الليبية 1986 ، الريف و الثورة 1988 ، جروح في ليل الشتاء 1984 ، قصص شعبية 1986 ، في الأدب الجزائري الحديث 1995 ، اتجاهات الرحالة الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة 1995 ، و رواية الربوة الحاملة 1997 . عاشور شرفي، ينظر : عاشور شرفي ، مرجع سابق ، ص 84. 85.

³. عمر بن قينة ، " المسار النضالي في القصة الجزائرية " ، مجلة الحياة الثقافية ، عدد 32، ص 109

إخوانه في سنة 1956 و قد استشهد في نفس السنة أي في ديسمبر 1956¹. و يترجع على قائمة القصاصين الجزائريين في تونس الطاهر وطار الذي نشر 18 قصة ما بين 1956 و 1962.

أغلب القصص استلهمت أحداثها من الثورة و نجد قصاصين آخرين منهم: عبد الحميد بن هدوقة و محمد ديب ، أبو العيد دودو ، نشروها في جرائد "الصباح" و "العمل" و مجلتي "الندوة" و "الفكر" و "الإذاعة" ج. المقال: كثيرا ما تضمن دعوة الشباب للتعبئة أو الحديث عن اللاجئين الجزائريين و دور المرأة و أهم ما كتب في هذا الجانب الأستاذ يحي بوعزيز و محمد الصالح الصديق .

هي أعمال عديدة لا يمكن حصرها في مقال ، و إنما نعرض بعضا منها على سبيل الذكر لا الحصر مركزا على بعض العناوين التي لها صلة مباشرة بالثورة الجزائرية و أحداثها ، و ممّا تجدر الإشارة إليه ، أنّي حاولت تنظيم المقال وفق الموضوعات و ليس وفق الفنون الأدبية بحكم أن كل فن من الفنون يشمل عدة مواضيع:

01. ممارسات الاستعمار في حق الجزائريين :

مارس الاستعمار الفرنسي في الجزائر منذ دخوله عام 1830 و إلى غاية الاستقلال شتى أنواع الممارسات التعسفية ، من قتل و تعذيب و تشريد و سجن و معاملة لا إنسانية في حق الأبرياء الذين لا ذنب لهم سوى مطالبتهم بحقوقهم في الحرية و الاستقلال، هذه الممارسات التي يندى لها الجبين كانت محل سخط و تعبير من قبل العديد من الجزائريين نورد البعض منها :

الأديب و القاص "الطاهر وطار" ، وظّف القصة ضمن أدب الثورة و هو بهذا يكون قد ساهم من زاويته الأدبية في تشخيص مساوئ الاستعمار مبينا مدى ارتباطه ببلده و ثورته عاطفيا ، هي أعمال كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر القصة القصيرة التي عنوانها بـ "الدموع الخالدة" ، هي قصة واقعية حدثت أثناء الثورة التحريرية قصها عليه أحد أصدقائه فأعاد نسجها ، مضمونها أن قرية "مداوروش" بسوق أهراس حدث بها و أن عرفت قتلى للعديد من ساكنيها من قبل سلطات الاستعمار ، فرمى بها في مقابر جماعية ، الأمر الذي جعلها محجّا للكلاب الضالة ، و مما حدث أنّ أحد الكلاب نبش حتى أخرج جثة ميت ، و بدأ ينهش فيها حتى أكمل أغلبيها أمام مرأى المواطنين ، الأمر الذي أدى بإمام المسجد إلى إحضار جموع المصلين بعد صلاة المغرب ، و نادى فيهم مستنكرا هذا العمل الشنيع : "...بلغني يا إخوان أنّ كلبا أسودا أخذ اليوم يحفر الأرض و

¹ . محمد صالح الجابري ، النشاط الثقافي و العلمي للمهاجرين الجزائريين في بتونس 1900 . 1962 ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1983 ، ص . ص 423.424.

ينبش حتى أخرج جثة فلان.... وقد أكل الكلب جلّ وجه الميت..." ، هؤلاء القتلى هم من دواوير المنطقة، و منهم حتى من قسنطينة جاءت بهم فرنسا و هم إثنا عشر رجلا ألقى عليهم القبض انتقاما لهم مما خسرتهم فرنسا من معارك في ذلك الوقت ، و ما كان من سكان مداوروش سوى البحث عن الجثث و إخراجها و بكى كلهم لحال هؤلاء و أعادوا دفن رفاتهم مكرمين منصرفين و الدموع تنهمر من أعينهم¹.

إنها عيّنة من عشرات الآلاف من العيّنات التي اقترفها المستعمر في حق الجزائريين أثناء الثورة ، رواها الكاتب في أسلوب جعلت القارئ يتفاعل معها لأنها جزء من مجتمعه و تاريخه الذي يبقى شاهدا على جرائم الاستعمار و صدق الذي قال : كيف ننسى و هذه جرائمهم ؟.

أما "محمد مخلوفي الجزائري" الأديب و القاص ، تحدث في إحدى مساهماته عن الأسرة الشهيديّة و هي قصة من واقع الشعب الجزائري أثناء الثورة ، يصور لنا حال أسرة فقدت الأب في إحدى المعارك و بقيت البنات الثلاثة و أمهم ، و لم يجدوا ما يقتاتونه وقد ألامهم الجوع يقول: ...الابن الصغير لم يستطع أن ينهض من فراشه المتبعثر منذ يومين ، من جراء الجوع و البرد الشديد ، قامت الأم سعاد تجول في البيت تبحث و لو عن قطعة خبز لتعطئها إياه ، و لكن حكم القدر بأن لا تجدسقطت على الأرض تبكي أبناءها الثلاثة و تنعي بعلها و لا مستغيث أو مجيب " ، الأكثر من هذا أنّ الأم و هي تبكي أولادها الذين تضوّعوا جوعا و ماتوا و لم تستطع أن توفر لهم و لو قطعة خبز يسدّون بها الرمي فإنها تعرضت هي الأخرى لاعتداء من قبل مجموعة مجهولة ، إنهم الفرنسيون. لم يسبق لها و أن أبصرت مثل هاته الوجوه ، فدافعت عن نفسها و هي تصرخ دفاع المستميت الذي آمن بالهلاك ، و أدركت أنها ستموت شهيدة مثل زوجها الذي سبقها للاستشهاد إذا ما أرادت الأذنان بها شرا و سوءا ، و هكذا تقدم أحدهم و الغيظ يملأ صدره ، و أراد أن يفعل بها بما سؤلت له نفسه الدنيئة ، فامتنعت و دافعت عن شرفها و مجدها الاثيل و لكن الجوع ...أفقدتها قوتها و صحتها فلم تستطع أن تقاوم أو تدافع ، بعدها سقطت سعاد على الثرى جثة هامدة لا تبدي حراكا و راح العدو اللئيم يدوسها و أبناءها برجليه في وحشية².

هذه أيضا واحدة من آلاف الحالات ، إما ما تعلق بالجوع و ما كانت تعانيه الأسر الجزائرية من فقر و تشرد و جوع و الأكثر من ذلك أنّ الأب الذي كان يعول الأسرة مات

¹. الطاهر وطار ، " الدموع الخالدة " ، جريدة الصباح ، يومية تونسية ، عدد 1408 ، تاريخ (1956/11/17) ، ص 03 .

². محمد مخلوفي الجزائري ، " الأسرة الشهيديّة " ، الجريدة نفسها ، ع 1423 ، تاريخ (1956/08/10) ، ص 03 .

شهيدا فداء للوطن ، و تحمّلت الأم الشهمة الأصيلة مسؤولية الأسرة ، و لكن ما عساها تفعل في ظل الظروف الصعبة ، و ليت الأمر توقف عند هذا الحد بل أرادت العصابة الفرنسية أن تنتهك عرض الأم بعد أن بقيت وحيدة بدون بعل ، لكن شهادتها و عقّتها أبتا إلا أن تدافع عمّا بقي من جهد ، فهي سليلة زوج أبيّ مخلص للوطن ، أظهرت أنها مخلصّة للزوج و فارقت الحياة لتلتحق بالرفيق الأعلى ، لقد ماتت دون عرضها و نحسبها في الجنة مع الشهداء .

الاوراس ، هذه القلعة الثورية الشامخة ، التي كانت نقطة انطلاق الثورة التحريرية المجيدة ، كثيرا ما كانت مادة دسمة للمؤرخين و مصدر إلهام للشعراء و المبدعين ، شاعرنا الذي كنى لنفسه بـ " عبد السلام " كانت له قصيدة رائعة في مهرجان المغرب العربي بدمشق بسوريا مكونة من أربع و أربعين بيتا ، نختار منها ما يلي :

خاب الطغاة فلن نكون عبيدا	لن نرتضي للظالمين سجودا
تأبى نساؤنا الرضوخ على الأذى	و تعاف أن نرضى الحياة قيودا
ولّى الظّلام و لاح من أوراسنا	فجر أطل على الوجود جديدا
فحذار من غضب الحليم و سخطه	فستصبحون لثورتيه وقودا
و السيف عدة ثائر متمرد	يرد الخطوب على المدى صنديدا

كانت له دار فهدم لها صرحها	باغ و خلفه العداة شريدا
القرية الفيحاء مرتع أمه	مهد الطفولة حيث دبّ وليدا
أمست يبابا مقفرا لا ضحكة	تعلو و لا شدو يرن سعيدا
اليوم ينعق في دجى أطفالها	مذ صيرتها الطائرات لحودا

لم يرحموا فيها تضرع حامل	فقضى البريء ببطنها موءودا
و السيف أشهر للنضال فلن تر	ي سيف التحرر هامدا مغمودا
قدر عليك محتم أن تهزمي	فبكل معمعة خفضت بنودا

و غدا على أوراس شعبي يحتفي	بالنصر جذلان المشي غريدا
و غدا على أوراس يرفع ثائر	علم الجزائر خافقا معقودا
خاب الطغاة فلن نكون عبيدا	لن نرتضي للظالمين سجودا ¹

¹. عبد السلام الجزائري ، " فجر الاوراس " ، جريدة العمل ، عدد 207 ، تاريخ (1956/02/22) ، ص 05 .

إنه وصف دقيق من جزائري أحسّ بلهيب الثورة ، و ما حدث للاوراس التي دفعت الثمن في الأشهر الأولى على الأقل من نوفمبر 1954 إلى أوت 1955 و ما حدث لها من قتل و حصار و تشريد و سجن و تعذيب فتكلم عن هدم البيوت و قتل النساء حتى الحوامل لم يسلمن و القرى التي أصبحت مقفرة نتيجة الهجرة الجماعية و القتل الممنهج للسكان إلخ و مع ذلك فالشاعر متفائل من خيبة الطغاة لتحقيق حلمهم ما دام هناك شعب تواق للحرية بل و توعده فرنسا بالنصر و رفع العلم عاليا خفاقا .

إذا كان الشاعر " عبد السلام الجزائري " يفخر بالاوراس ، فإن الشاعر " محمد الصالح بن ترعة " يضع نفسه رهن إشارة الثورة لمحاربة العدو متوعدا إياها . أي فرنسا . بتبديد الأوهام التي طالما انتابتها يقول :

بسواعدي لا بالعقود الزائفة...
 سأشق طريقني... بين الصخور..
 ... والعقبات... إلى حريقي الغالية
 بسواعدي لا بالمدارة الكاذبة...
 و لا بالوعود... وعودك يا فرنسا ... السافلة
 لك مني يا فرنسا درسا... درسا في الآمال الواهمة... آمالك...
 أوهام "لاكوست"¹ الخاصة....
 خذي مني يا فرنسا من الاوراس و سكيكدة المجاهدة
 بسواعدي لا بالعقود الزائفة بشبابي
 ... لا بالقرصان التائهة ستعرفين العروبة
 مالك ترهين يا فرنسا
 صوت الجزائر صوت الحق
 يا فرنسا الخائنة²

لئن قال الشاعر هذه الكلمات عن نفسه ، فهو أيضا يتكلم على لسان كل جزائري غيور على وطنه ، مخاطبا فرنسا بأنه سيجعل من نفسه فداء للوطن ، مبددا

¹ . روبر لاکوست " Robert Lacoste ، (1898 . 1989) ، وزير مقيم بالجزائر 1956 . 1958 ، ولد في 1898/07/05 في آزيلا (دوردونييه) ، حاصل على الليسانس في الحقوق ، عين وزيرا في حكومة ديغول 1944 . 1945 ، عين في 1956/02/06 وزيرا مقيما بالجزائر ، كان يؤمن بالجزائر الفرنسية عرف عهده بتكميم الأفواه و تنفيذ أحكام الإعدام بكثرة و القمع . ينظر : عاشور شرفي ، قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962 ترجمة : عالم مختار ، دار القصبه للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص 288 .

² . محمد الصالح بن ترعة ، " صوت الجزائر " ، جريدة العمل ، عدد 552 ، تاريخ (1957/08/02) ، ص 04 .

حلمها الزائف في البقاء هنا ، موجها نقدا لاذعا لفرنسا الاستعمارية ، مبينا أن العروبة ستنتصر و صوت الحق سيعلو في الجزائر يوما أو غدا و هذا ما تحقق بفضل سواعد الرجال المخلصين .

الشاعر سالم ضيف ، من جهته يوجه كلامه للفرنسيين المتسببين في المأساة الجزائرية مستنكرا ما تقترفه فرنسا في حق الجزائريين يقول :

لماذا حرب الجزائر ؟ و كل يوم خسائر
لما هذا التعدي ؟ و كل حين مجازر
شعب يريد انطلاقا يهوى التحرر ، ثائر
أين الذين تغنوا ؟ و قالوا فوق المنابر
إن التحرر حق يناله كل ثائر ؟
يناله كل فرد و كل شعب محاصر
أين الجزائر منهم ؟ و أين تلك البشائر ؟
أين الوفاء للمبادئ رباه أين الضمائر¹ ؟

لعل الشاعر سالم ضيف أراد من خلال هذه المقطوعة الشعرية المعبرة أن يوجه رسالة لفرنسا صاحبة الشعار : " المساواة ، الأخوة ، الحرية " ، هذا الشعار الذي لا أثر له في الجزائر ، فهم يتغنون به فقط في المحافل الدولية و كأن الشعب الجزائري خلق ليستعبد ، هناك استنكار و لوم و عتاب من الشاعر للمستعمرين لماذا الحرب ؟ و لماذا الخسائر و لماذا المجازر و غيرها و كأنني به يقول أوقفوا الحرب و كفانا خسائر و امنحونا حقنا في الحرية ، أليستم أنتم من تغنى بهذا ؟ فهو يريد أن يذكرهم بالمبادئ و يحيي فيهم الضمائر و لكن هل من مجيب ؟ .

قدّم الشاعر " كريم محمد " قصيدة من نوع " الشعر الحر " يبرز فيها مدى ما اقترفته أيادي الغدر الفرنسية في حق الأم و الأخت و الأب و غيرهم ، و هي نماذج لعموم الجزائريين فالشاعر لا يقصد من وراء ذلك أسرته الصغيرة ، بقدر ما يقصد أيضا أسرته الكبيرة الجزائريين ، فيعتبر نفسه مجاهد في الجبال و عملت فرنسا كل ذلك ليسلم نفسه و يعود لكن هيهات فرغم كل ما حدث صمم على البقاء بين التلال ، القصيدة عنوانها " لن أعود " ، و مما جاء فيها :

قتلوا أمي غدرا ... سجنوا أختي قهرا
و أبي في حلة الشيب الجلييلة

¹ . سالم ضيف ، " ما هكذا يا فرنسا ؟ " ، الجريدة نفسها ، عدد 1076 ، تاريخ (1959/04/10) ، ص 08 .

عذبوه..كان ذلككي أعود..
 كي أفارق مكمني بين التلال
 و أعودكي أفارق مدفعي بين الجبال
 للجحود...لا...لن أعود
 بضريح الأم أقسمتو بالأخت السجينة
 لن أعودلن ينالوا من كفاحي بالوعد
 لن أعود...لن ينالوا من نضالي بالعهود
 لن أعود...لن ينالوا من صمودي بالقيود

هدفي سوف يحقق...بجراح و دماء.....
 و بلادي ستحرر.....من قيود الدخلاء
 عندها سوف أعودو رفاقي من جنودكي نعمر
 كل ما شلّ و دمّر¹

هي صرخة من جزائري مجاهد رفقة إخوانه في الجبال ، لما حدث لأسرته من الأب
 و الأم و الأخ و الأخت ، منهم من قتل و شرد و سجن و عذب من قبل عصابات الإجرام ،
 لا لشيء سوى لإرغامه على النزول من الجبل و الاستسلام ، و لكن هيمات يتأتى لهم ذلك ،
 هي عينة لعشرات الآلاف من الجزائريين الذين فعل بهم مثلما فعل بهذا و لكن الإصرار و
 العزيمة على القتال هو من حقق النصر في الأخير رغم قوافل الشهداء الذين ماتوا فداء
 للوطن ، إنها كلمات معبرة عن إصرار المجاهد عدم العودة منها : لن ينالوا من كفاحي
 بالوعد ، لن ينالوا من نضالي بالعهود ، لن ينالوا من صمودي بالقيود ، فرغم العهود و
 الوعود فلن يعود .

الاستعمار الفرنسي و بقدر ما سخر آلتة الحربية لقتل الجزائريين ، و سجنهم و
 تشريدهم ، لتنفيذ مخططة الرامي لتكريس منطق الاحتلال ، عمد أيضا إلى التضيق على
 الجزائريين في ميدان التعليم ، سعيا منه لتجهيلهم و إبقاءهم بعيدين عن الوعي الذي
 يمكن أن يدفع فيهم روح الحمية و الثورة ، و لعل أبرزها إصداره للعديد من القوانين
 التي تحد من تعليمه، بل و تعاقب كل من تسوّل له نفسه فتح مدرسة دون رخصة ، في
 الوقت الذي فتح فيه التعليم لأبناء الأوربيين و استفادوا منه كليا عبر جميع المراحل
 التعليمية .

¹ .كريم محمد، "لن أعود، جريدة العمل، مصدر سابق، عدد 1009، تاريخ (20/01/1959) ،
 ص 08.

الكاتب و المؤرخ الجزائري " يعي بوعزيز"، تناول هذا الجانب في غير ما موضع و منها المقال الذي كتبه في جريدة "الصباح" شَخَّص فيه أثر الاستعمار الفرنسي على الجانب التعليمي في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية يقول: " لقد بلغ من حماقة الاستعمار الفرنسي في الجزائر و بغضه للثقافة العربية أن صار يعتبر وجود السبورة في منزل أسرة جزائرية جريمة يعاقب عليها بالغرامة و بالسجن لا تقل عن سنة " ، و لتصوير مدى الحقد و الكراهية التي يكنها الاستعمار الفرنسي للثقافة العربية و حاملها بالجزائر ، أورد ما قاله بعض الفرنسيين أنفسهم: " إن تدريس العربية نوع من أنواع الاضطهاد العنصري الممقوت لأنه يفرض التعريب على بلاد الجزائر ... و أصدر مفتشو التعليم الابتدائي الفرنسيين في 05 مارس سنة 1954 ما يلي: " العربية العامة أهميتها لا تتعدى كونها لهجة محلية و العربية الفصحى تعتبر لغة ميتة و العربية الحديثة لغة أجنبية بالنسبة للبلاد ، و لهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون من المواد المقر تعليمها إجباريا بالمدارس الابتدائية .." ، ثم انتقل إلى الحديث بلغة الأرقام مبينا مدى الفرق الشاسع بين ما يتعلمه الفرنسيون و الأوروبيون مقابل ما يتلقاه الجزائريون يقول: " في الجزائر عشرة ملايين نسمة من الجزائريين ، نسبة التعليم فيهم 10 في المائة ، مقابل 800 ألف فرنسي يتلقى أولادهم التعليم مائة في المائة مع وفرة كل الوسائل لهم ... و في الجزائر العاصمة وحدها توجد جامعة واحدة ، بها خمس كليات مجموع طلابها 5146 ، منهم 4589 أوربيا و 557 جزائريا ، و عليه فإحصائيات تثبت أن هناك طالبا جامعييا واحدا أوربيا لكل 227 من السكان الأوربيين في حين هناك طالبا جامعييا واحدا جزائريا لكل 15347 من السكان الجزائريين".

إن الأرقام المبينة آنفا ، تدل دلالة قاطعة مدى الحقد و الكراهية التي كان يكنها المستعمر إزاء الجزائريين مستهدفا التعليم الذي كان يرى فيه رمز التحرر و الانعتاق و الوعي السياسي و الاجتماعي ، فعمل على التضييق على تدريس الجزائريين إلا لفئة ممن يحسبون عليه في الوقت الذي اهتم اهتماما مبالغا فيه في تعليم الفرنسيين و الأوربيين ، إنها منهجية اتبعها المستعمر في سبيل تحقيق الأهداف المسطرة و هي محاولته القضاء على الهوية الجزائرية و احتواء المجتمع الجزائري من خلال تجهيله¹.

02.الإشادة بالشعب الجزائري وبثورته المجيدة :

تغنى عديد الشعراء الجزائريين بالثورة الجزائرية و أشادوا ببطولة المجاهدين و بجموع الشعب الجزائري الذي احتضن ثورته رغم ما عاناه من ويلات الظلم و التنكيل،هم شعراء منهم المعروفون كالشاعر مفدي زكريا و صالح خرفي و عبد الحق

¹. يعي بوعزيز ، "مشكلة الثقافة العربية في الجزائر ، ج2 " ، جريدة الصباح ، عدد 3068 ، تاريخ (1962/06/21) ، ص 04

شريط ، و منهم دون ذلك كالشاعر الذي كنى نفسه بـ " عبد الله التواتي " و " رحيم " و " كريم محمد " وغيرهم .

و بغض النظر عن قيمة الشاعر الأدبية و الثقافية ، ارتأيت أن أقدم نماذج عما قدموه من إشادة للثورة ، لأنه في النهاية كلهم جزائريون و من حق كل واحد التعبير عما يخالجه نفسه . الشاعر "مفدي زكريا" الذي نظم قصيدة تحت عنوان "ملحمة الجزائر" مطولة من مائة و اثنين و أربعين بيتا ضمنها إشادة بشهر نوفمبر الخالد و ببسالة الشعب الجزائري ، اخترت منها هذه الأبيات :

تباركت شهرا بالخوارق طافحا و سبحان من بالشعب في ليله أسرى
و في ساحة التحرير سوق قوامها ضمائر قوم لا تباع و لا تشتري
توزع فيها للشهيد شهادة بها بصمات الرب تطفح بالبشرى
فألهمت من بركان نارك ناره و ألقيت من عليك في روعة أمرا
عبرنا في السبع الشدائد نشقها و لم تثننا الأرزاء أن نعبر العشرا

و نفرض في الدنيا احترام وجودنا و ننشر في أحلافها الرعب و الذعرا
ونلقي دروسا في البطولة للورى .. و نترك للأجيال من حربنا خبرا
و تشرق في الدنيا رسالات بعثنا فتبيض بالإشعاع (إفريقيا السمرا)¹
كما نظم قصيدة أخرى تحت عنوان " هنيئا بني أمي " ، ضمنها أيضا الإشادة بالجزائر و شعبها يقول :

على نبضات الشعب وقعت ألحاني و من نشوة التحرير لحنتم أوزاني
و تيمني حب الجزائر فارتوى نشيدي في الساحات من دمها القاني
و أحببت أوطاني رضيعا و لم أزل أغني مع الدنيا بأمجاد أوطاني
و همت بأبناء العروبة يافعا أرى كل أبناء العروبة إخواني²
يتبين من خلال ما نظمه الشاعر مفدي زكريا مدى تعلقه و حبه للجزائر مشيدا
بما قام به الأبطال من ثوره ضد الظلم ، وظف فيها كلمات معبرة منها : الخوارق ، بركان ،
نار ، تطفح ، الرعب ، الذعر ، تممني حب الجزائر ، دمها القاني ... ، كما اقتبس بعض

¹ . مفدي زكريا، " ملحمة الجزائر الخالدة "، جريدة العمل ، عدد 1877، تاريخ (1961/11/02) ، ص 06 (33). نفسه ، " هنيئا بني أمي " ، الجريدة نفسها ، عدد 1891 ، تاريخ (1961/11/18) ، ص 04 .

² . صالح خرفي ، " غدا سنزفها للشرق بشرى " ، الجريدة نفسها ، عدد 194 ، تاريخ (1956/06/07) ، ص 04 .

المعاني من القرآن الكريم لتقوية المعنى منها : " ليله أسرى " ، " السبع الشدائد " ، هذه الإشادة ليست جديدة على شاعر يلقب بـ " شاعر الثورة " و هو الذي نظم فيها عشرات القصائد بقيت تردد و تتداولها الأجيال المختلفة على مرّ السنين.

من جهته الشاعر الجزائري " صالح خرفي " ، أشاد أيضا بالثورة الجزائرية و بشعبها البطل موجها سهامه إلى الفرنسيين الذين جاؤوا كياجوج و مأجوج ، هي قصيدة عمودية مكونة من ثمان و عشرين بيتا ، نختار منهم بعضا من الأبيات :

و تلك بلادنا تغذي دمانا تراها لن تضيع منه شبرا
فهل لك يا فرنسا من مزيد فهاتي و ابعثي النجدات تترى
فإن تلك ثورة الأحرار نارا عليك ، فبالهشيم النار تضرى
و أخبار المعامع دلسمها فنحن بجيشنا المغلاب أدرى
و أدرى بالمصير أيا فرنسا لسرب من ظبا لاقى هزبرا
بربك طهري بدم بريئ ثرى لوثنه مكر و غدرا
بربك علمينا كيف نغزو عدانا فالسلام بنا أضرى
لعمر أيبك قد أملت درسا و نحن نقدم الشهداء شكرا
و حرية الجزائر ، يا بنمها غدا سنزفها للشرق بشري⁽³⁴⁾ .

صالح خرفي الذي يعتبر أيضا ممن سَخَّروا شعرهم الثوري للإشادة بالشعب و ثورته ، و القصيدة و إن لم يلتزم فيها الشاعر بالوزن و القافية مثلما هو متعارف عليه ، إلا أنّ ما يهمه هو المعنى الذي يقدمه للقارئ ، فالقصيدة دالة على مدى تعلقه ببلده الجزائر ، بل و يؤكد أنّ الدماء التي تراق و تزهق يوميا لن تذهب هدرًا ، إنما سنسترجع بها أرضنا شبرا شبرا ، فهي ثورة الأحرار، الأكثر من ذلك يوجه نداءه لفرنسا بأنها هي التي علمتنا كيف نثور؟ و كيف نقدم الشهداء

. في قصيدة مكونة من أربع و عشرين بيتا ، تحدث فيها الشاعر الجزائري الذي

كنى نفسه بـ " رحيم " يشيد فيها بالجزائر ووطنا و ثورة يقول :

خفق القلب فطار المغرب و بدا للقوم رأي أصوب
أمة قد أكلت آلامها و عدو من دماها يشرب
كونت جيشا شجاعا صادقا يركب الأخطار لا يستصعب
شنها حربا عوانا أربعا من يذد عن حوضه لا يعطب
من يحد عن سنّة الكون غدا في حضيض تعتريه النّوب
جبهة التحرير سيري قدما أثبتّ للأحرار أمّا و أب

يا بناء المجد هذا يومكم من بغاة الظلم حتى يهربوا¹
 هي التفاتة أخرى من شاعر جزائري نظم قصيدة ضمنها إشادة بالشعب الجزائري البطل الذي فجر ثورة مبينا أن الجزائر رأت بأن الرأي الصواب هو في الثورة، و يفخر بالجيش الذي أخذ على عاتق الأمانة في قوله "كونت جيشا شجاعا صادقا"، نعم إنه جيش شجاع و صادق و لولا ذلك ما استطاع أن يلحق بالمجرمين الهزائم و يركب الأخطار كل ذلك في سبيل الذود عن الشرف و العرض و الأرض و غيرها....و يحذر الشاعر من أي تقاعس لأن سنة الحياة اقتضت أنه من تخاذل فمصيره الحضيض و النوائب أي المصائب و أي مصيبة أكثر من الاحتلال ؟.

محمد الصالح الصديق، و في خضم اشتداد المعارك بين جيش التحرير و الاستعمار الفرنسي، سيما بعد مؤتمر الصومام 1956، و لشحن الهمم و ما أحوج رجال الثورة. آنذاك. لمثل هذه الكلمات التي تزيد الرجل همة، و تبعث في كيانه الحمية و النشاط، كتب مقالا عنوانه بـ "إلى رجال التحرير"، بحيث استهله بالآية الكريمة: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، و أنّ الله على نصرهم لقدير"، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربّنا الله"²، و لعل من يقرأ الآية بتمعن يدرك أن الأستاذ أراد أن يبعث برسالة إلى جيش التحرير مفادها، أن القتال مشروع بحكم الظلم الذي سلطه الاستعمار على المجاهدين و هم المظلومون، و أكد لهم بحكم الآية أن الله سينصرهم لا محالة، سيما و أنهم أخرجوا من ديارهم ظلما و عدوانا، و لإقناع رجال التحرير. كما سمّاهم. يبيّن في المقال: المبدأ السامي للإسلام و هو أنه دين الرحمة و المساواة و التآخي و السلم قال تعالى: "يأيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة"³، و لكن لما يتمكّن القوي من رقبة الضعيف و يستعبد الناس. و قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا. فإن الإسلام لا يرضى بالسلم مع العدوان، بل يأذن إذ ذاك بالقتال صونا للكرامة الإنسانية و حماية للدمار، و يبشّر الله الذي وعد به أهل الحق من عباده، و يضيف: "أيها المجاهد الجزائري، لقد أذن لك ربك بالقتال، لأنك ظلمت ظلما عظيما، و وعدك بالنصر المين، لأنك على الحق و عدوك على باطل، فثرت ثورتك المباركة التي رفعت بها ذكر وطنك و برهنت بها على بطولتك، و أكدت بها صحة نسبك. لأبطال الإسلام الخالدين. و انتزعت إعجاب العالم

¹. رحيم، "خفق القلب فطار المغرب"، جريدة الاستقلال، أسبوعية تونسية، عدد 151، تاريخ (1958/10/0)، ص 01.

². سورة الحج الآية 40/39.

³. سورة البقرة الآية 208.

قاطبة بقوة إيمانك و صبرك ، فلتواصل كفاحك حتى تفتك حريتك من أيدي الظالمين فأنت المنتصر بحول الله و أنّه على نصرك لقدير"¹.

الثورة و بقدر حاجتها إلى رجال في الميدان ، فهي أيضا بحاجة إلى مرشدين و واعظين حتى يحفزوهم على القتال ، و هذا ليس بجديد ، فحتى في الحروب التي خاضها المسلمون الأوائل ضد الكفار، كانوا يرسلون من لديهم القدرة على الخطاب المقنع ، ليبعث الهمة و يشجذ العزيمة في نفوس المجاهدين ، و الأستاذ محمد الصالح الصديق في مقاله هذا وجّه رسالة إلى مجاهدي جيش التحرير يحثهم فيها على القتال، لأنّهم على حق و عدوهم على باطل ، مستدلا بآيات قرآنية دالة على صدق ما يقول .

"الثورة الجزائرية عظيمة عظيمة شعبها الأبي و عظمة جيشها الباسل ، هذا الأخير سجل في حروبه الضروس انتصارات ، و ما زال يسجّل تاريخ المجد و الظفر بدماء أبنائه الطاهرة الزكية إلى أن ينشق نور الحرية و النصر " ، هذه العبارة ساقها الكاتب الجزائري المدعو "عبد الحميد بن علي القسنطيني" ، يشيد فيها بكفاح الجيش الجزائري في معركتها التحريرية ضد العدو : " إنّ هذا الجيش المفعم إيماننا بالله و بالدين و الوحدة و العزة و الحرية نراه في ساحة الوغى يدافع دفاع الأسود صارخا هاتفا باسم الجزائر المسلمة و العروبة قاطبة " ، و يضيف : " ... فلم أستطع سوى أن أحيي رأسي إعجابا و إيماننا بهؤلاء الجنود الأبطال الذين أحرزوا قصب السبق في الكفاح المقدس " ، و اختتم مقاله بدعوة الشعب الجزائري للتحلي بالصبر و الصمود أمام هذه الكارثة التي حلّت به قائلا : " اصبر إن الله وعد الصابرين خيرا و نصرا مبينا لك و سحفا و تبا للاستعمار و كتائبه المتوحشة القذرة"².

من صور البطولة و الفداء أيضا ، الرسالة التي تقدم بها أحد الكتاب الجزائريين تحت اسم " جزائري" إلى أمّه ، قدم فيها الكاتب مساهمة ضمّت قصّة شعب يموت من أجل حرية بلاده و من أجل حرية هؤلاء الأطفال ، بيّن كيف أنّ أمّه في يوم من الأيام بكت خلسة عن الأب و ناولته بندقيته قائلة : " كن شجاعا يا بني من أجل الجزائر ... من أجل إخوتك الصغار... " ، و رد عليها قائلا : " نحن سنذهب يا أماه، ستروي دماؤنا هذه الأرض مرّة ، و لكننا سنطمئن إلى الصبر ، مصير أولادنا مصير أمتنا، غدا سيرفع أبنائنا جبينهم عاليا ، يفاخرون بأمّتهم بخلودها خلود جبالنا الساحرة الصامدة في وجوه المستعمرين ، خلود جبال الأطلس القائمة على بركان من ثورة الأحرار ... و يضيف : " لا تبكي يا أمي ... لن

¹. محمد الصالح الصديق ، "إلى رجال التحرير" ، جريدة الاستقلال ، مصدر سابق ، ع 76 ، تاريخ (05 أفريل 1957 م) ، ص 1 .

². عبد الحميد بن علي القسنطيني ، " نسيم الحرية يهب على الجزائر " ، جريدة العمل ، ع 60 ، (1956/12/14) ، ص 02 .

تجمد الدمعة في عينيك ... فنحن نموت يا أمه من أجل بلادنا ... من أجل أبنائنا ... من أجل الوجوه السمر التي طالما غمرها التراب ... والتي ستظل اليوم أيّة ترتفع إلى العلا ... تسخر من الاستعمار و من أبناء الحضارة والمدنية".¹

هي قصة أيضا من عشرات الآلاف من القصص التي تحكي واقع الجزائريين أثناء الثورة التحريرية و لولا هذا ما كانت الجزائر لتحصل على الاستقلال لأنه في النهاية ضحّى الابن و الأب و الأم و الأخ و الكل بنفسه و ماله و وقته من أجل التحرر، هي رسالة من جندي جزائري مجهول ، و لكن الكلام موجّه لعموم الجزائريين الجنود ، الأم الشّهمة دعت الابن إلى ساحة الوغى ، طالبة منه الجهاد في سبيل الله و الوطن ، فما كان منه سوى تلبية النداء كل ذلك في سبيل الأرض الطاهرة ، في سبيل الأبناء أن يعيشوا غدا أفضل .

و إثر تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة² وجّه أحد الشّعراء الجزائريين المدعو "صادق الحفناوي" تحية لها اعترافا بالدور الذي ستقوم به في الدفع بمسيرة الثورة ، هي قصيدة طويلة انتقينا منها بعض الأبيات

الجزائر وطّدت أركانها بعد أزمان قضتها في الحداد
شكّلت بعد العنا دولتها من ليوث شرفوها في السّواد
قدمت أشبالها و استخدمت جيشها الظافر حتما للمراد
و اقتفت أثر الأعادي و انبرت في فرنسا نفسها أرض الفساد
تزرع الألغام في قاعاتها تمزج البنيان فيها بالمراد
و تبث الرعب في أوساطها في ظلام الليل أوقات الرقاد
و تناست حقهم و استخدمت لغة القوة في سحق العباد
سوف تبقى الجزائر حرة ظافرة بين أقطاب السّلام و الوداد
سوف تعلقو كلمة الحق على قرية الباطل في كل النوادي³

في الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية ، يطل علينا الشّاعر "صالح خباشة" الذي كثيرا ما يكتب تحت أسماء مستعارة بـ "ابن بابا صالح الجزائري" ، بثلاث قصائد : الأولى بعنوان : "الشعب و الثورة" و الثانية تحت عنوان "الثورة في الخارج" ، و الثالثة بـ "

¹ . جزائري ، " رسالة جندي جزائري " ، الجريدة نفسها ، عدد 1049 ، تاريخ (08/03/1959) ، ص 09 .

² . تشكلت الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19/09/1958 من قبل لجنة التنسيق و التنفيذ ترأسها فرحات عباس في البداية ثم بن يوسف بن خدة و استبدلت في أوت 1962 بالمكتب السياسي برئاسة احمد بن بلة . ينظر : عاشور شرقي ، قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962 ، مرجع سابق ، ص 152 .

³ . الصادق الحفناوي ، "تحية الحكومة الجزائرية"، جريدة الاستقلال ، عدد 150 ، تاريخ (03/10/1958) ، ص 01 .

النصر للحق" ، كلها لا تخرج عن إطار الإشادة بالثورة و بالشعب الجزائري ، نشرها في جريدة "العمل" بتاريخ 15/11/1957 ، و لأن لم يحترم فيها معايير الكتابة الشعرية من وزن وقافية فرسالة الشاعر واضحة و هو التركيز على المعنى أكثر من المبنى، و من بين هذه القصائد الثلاثة ، اخترت قصيدة "النصر للحق" التي جاء فيها ::

إن تجنعي للسلم نجنح للسلا م ، و من ترق له الحروب الدامية ؟
لكنك اخترت المدافع مركبا فتربصي حتى تحل القاضية
نحن الملائك حين نرضى رحمة و إذا غضبنا مرة فزبانية
و جيوشكم ، لا تستقر أماننا قوات ربك حين تهدف رامية
سنشق هاتيك الليالي باللهب فينجلي فخر الحياة الزاهية
الله أكبر فالجزائر حرّة هذي المدافع بالثأر داوية¹

الشاعر الجزائري "صالح خباشة" يخاطب فرنسا بأنها إن تجنح للسلم فالجزائر مسالمة ، لكن مادام أنك اخترت المدافع فالجزائر بالمرصاد حتى النهاية ، ثم ينتقل ليشيد بخصال الجزائريين ، فهم شبيههم بالملائكة في الرحمة و كالزبانية في العقاب و هو يهد يقتبس من القرآن العظيم بعض المعاني لتقوية المعنى منها "الملائكة" و "الزبانية" و "القاضية" ، و يؤكد في الأخير أن الجزائر. بإذن الله. تنتصر و تلعو كلمة الله أكبر .

03. دور المرأة الجزائرية في الثورة :

المرأة الجزائرية و ثورة التحرير ضد الطغيان و الجبروت، توأمان لا ينفصلان منذ اندلاع الثورة المباركة ، لقد شاركت المرأة الجزائرية بنصيب وافر و مشرف في ثورة الشعب الكبرى ، شاركت فيها بروحها و بفلذة كبدها و بكل عزيز لديها و خاضتها غير وجلّة و لا خائفة همّها تحقيق سيادة الوطن و حريته .

الكاتبة التي اكتفت بذكر اسمها " مليكة" عنونت لمقالها بـ " بطولة المرأة الجزائرية" ، ذكرت فيه مآثر المرأة الجزائرية أثناء الثورة من خلال مشاركتها في العديد من الأحداث الثورية ، ناهيك عن الخدمات التي كانت تقدمها للمجاهدين تقول : " رأينا في سني 1958 . 1959 نسوة جزائريات باسالات ذهبن للتظاهر أمام مراكز الشرطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر و وهران في كل هدوء دون أي خوف من أن ينج بهنّ في السجون و في مراكز التجميع التي تنتظر كل الجزائريين ، لقد ذهبت هاته النسوة لتصرخ في وجه الاستعمار أن أخرج من بلادنا الجزائر ، فالجزائر للجزائريين و الحكم فيها لأبنائها المجاهدين ، و لم يتورع الاستعمار الذي لطخت جبينه بالجرائم و شوهت يديه الدماء

¹. ابن بابا صالح الجزائري، " في الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية "، جريدة العمل ، ع 641 ، تاريخ (15/11/1957) ، ص 06

من أن يلقي بالمرأة الجزائرية المجاهدة في مراكز الاعتقال .."، كما بينت الكاتبة أنّ الاستعمار حاول إيهام المرأة الجزائرية بأنّ الرجل الجزائري الذي هو زوجها و ابنها و أخوها ، هم ضد تطورها و تحررها ، و الهدف من هذا حتى تقوم المرأة ضد الرجل ، و تعرقل كفاحه التحرري الباسل ، غير أنّ هذه المناورة لم تأت يوما أكلها ، بل تفتنت لمناوراتهم ، و ردّت عليهم بحماسة أكثر للثورة ، و عاضدت أخيها الرجل حتى كانت له خير معين و ساعدته على كسر شوكة الدخيل الغاصب ، و مما يشهد به العدو قبل الصديق ، أنّه في الوقت الذي كان فيه الاستعماريون ينتظرون البكاء و العويل من النساء لما قاموا بالقتل ، يفاجأون بالزغاريد على هؤلاء الشهداء ، و هذا دليل على تأييد المرأة لكفاح الرجل في سبيل نصرة الثورة و نصرة قضية الجزائر العادلة ، لقد كانت المرأة الجزائرية دائما إلى جانب الرجل المجاهد رافعة معنوياته في أحلك الظروف و مظهرة أنّها جديرة بكفاحها و جديرة بالثقة الحائزة عليها من قبل المجاهدين¹ .

أما الكاتب الصحفي المسمى " عيسى " دون ذكر لقبه أيضا ، فكانت له مساهمة مطولة عن المرأة الجزائرية عنوانها بـ " المرأة الجزائرية و الثورة " ضمّنها مواقف المرأة الجزائرية الثورية إلى جانب أخيها الرجل مستعرضا دور و بطولة المرأة أثناء الثورة قائلا : " لقد فعلت المرأة الثائرة ، و أثبتت بشقّ الوسائل باهض الأثمان إنّها بطلة ... سلوا الاوراس ... عن كفاح المرأة الجزائرية ، سلوا عنها المستشفيات و الكهوف و المغاور ... سلوا عنها المحتشدات و السجون ، تجيبكم جميعها ، سلوا عنها حوادث تبسة و مجازر 20 أوت 1956 ، سلوا عنها الجند الفرنسيين الذين ذبحت منهم الكثير و أسرت العديد " . و يضيف : " اصعدوا الجبال تروها تضمد الجراح و تخفف من آلام الأبرار ، بل و تعطي الدروس في التمريض و الجراحة و صاحبة الحلي تطوعت بها للجيش ... للثورة ، هناك المئات من المتطوعات المسلحات ، و هناك الجنديات المدنيات يجمعن و الاشتراكات ، بل و يشتريّن الأسلحة للثورة " ² .

من جهته الكاتب و الأديب " عبد الله ركيبي " تأثر أيضا بدور المرأة أثناء الثورة، و ممّا أعجبه هو النشيد الذي نظمته الشاعر الجزائري " صالح الخرفي " الذي وصف المرأة الجزائرية بـ " الثائرة " يقول الركيبي : " ... و يعجبني صالح الخرفي لأنه عبّر فعلا عن موقف المرأة الجزائرية من الثورة ، و عن مشاركتها في الكفاح جنبا إلى جنب مع الثائر الجزائري :

¹ . مليكة ، " بطولة المرأة الجزائرية " ، جريدة العمل ، عدد 1880 ، تاريخ (1961/11/05) ، ص 05 .

² . عيسى ، " المرأة الجزائرية و الثورة " ، جريدة الصباح ، عدد 1410 ، تاريخ (1956/07/26) ، ص 03 .

إني أنا بنت الجزائر **** أفدي بلادي بالدماء
لما تراءى صوت ثائر **** نادى بتحرير الحى
لبيته بيدي و قلبي **** وصحبته جنبا لجنب
اسعي إلى تحرير شعبي.....

المراة الجزائرية أصبحت هي الأخرى تصبو لساحات الكفاح لترد كيد العدو عن
وطنها...فهي كما تصلح للمنزل...تصلح أيضا للحرب و لتضميد الجراح و تحتمي مثل
الثوار في الجبال الشامخات بل و تحتضن القنابل و قد تركت الحناء التي كانت تخضب
بها بناتها و استعاضت عنها بالدم حتى تلقن كل أعدائها بأنها بنت الجزائر الثائرة .

أصبر لساحات الكفاح **** لأرد كيد المعتدي
للطهي كفي للجراح **** للثائر المتمرّد
بالشاهقات سأحتي **** و على القنابل أرتعي
حناء كفي من دمي **** حتى ألقن كل ماكر
إني أنا بنت الجزائر ..¹

لقد صوّر الشاعر المراة الجزائرية الثائرة تصورا صادقا ، لقد نفضت يدها من
الأشياء التي اعتادت عليها من عمل المنزل أو ما يتصل بشؤون حياتها و حياة أبناءها و
زوجها ، لتصبح ثائرة هي الأخرى تخوض المعركة إلى جانب أخيها الثائر الجزائري .

04.دعوة الشباب الجزائري للتعبئة :

الشباب عنصر حيوي و فعّال لدى كل أمة ، فهو الذي تعتمد عليه في معركة
التحرير من العدو و معركة البناء و التشييد لما يمتلكه من قوة و عزيمة و وعي و حس
وطني ، خاصة إذا كانت الأمة جلّ فئاتها العمرية شباب فهم تخوض المعارك و تدفع ظلم
الاستعمار ، و الكاتب المؤرخ "يحي بوعزيز"، و إيماننا منه بل و اعترافا منه بالدور المنوط
بالشباب ساهم بمقال مطول في جريدة " الصباح " بيّن من أن الجزائر تملك شبابا طموحا
قادرا على تجسيد أمل الأمة يقول : "...مهما يكن من أمر فان هناك ثلة من الشباب راقية
عملت و تعمل .جاهدة على وصل الماضي بالحاضر حاملة على عاتقها الأمانة لتؤديها بحق
إلى الأجيال في جدارة رغم العوارض و العراقيل ..." كما دعا الكاتب الشباب إلى التحلي
بالجهاد و الروح الثورية التي تجعله قادرا على إخراج العدو يقول : "...و لزاما علينا إزاء
هذه الحالة .يقصد الثورة . أن نعيش ثوريين و نستشهد ثوريين على غرار قول الشاعر
العربي :

عش عزيزا أو مت و أنت كريم بين طعن القنا و خفق البنود¹

¹ . عبد الله ركيبي ، " الثائرة الجزائرية " ، جريدة الصباح ، عدد 3027 ، تاريخ (1962/05/03) ، ص 04 .

و الشاعر "عبد الحق شريط" أيضا يقول في شأن الشعب الجزائري ما يلي :

أيا جند شعب أبي طموح تعالوا نثور على الغاصبين
و نبني لأرض الشمال صروح و ننفض عنا هوان السنين
بجد السيوف ، بجد الرماح سنحني الجزائر ، أرض الجدود
بلاد النفوس العوالي الطماح بلاد الكفاح بلاد الأسود

فخر و اعتزاز بشعب أبي أبي إلا أن يخوض حربا شعواء ضد الظالمين، فالشاعر يوجه نداء للجزائريين بدعوته للثورة و إن كانت الثورة في عامها الخامس ، و مع ذلك كرر نداءه لعل جموع الخانعين يصحى فيهم الضمير و يعودون إلى جادة الحق و الصواب².

أما الشاعر "محمد عبد الله التواتي" يوجه سلاما حار للجزائريين أينما كانوا و يدعوهم للتعبئة قائلا :

سلاما...أخي في الجزائر سلاما و حبا...أخي في الجزائر
سلام العروبة ، من كل تائر ترى أرسلوك لقتلي أنا ؟
أخي ، فلنحطم هذي القيود..... أخي لأقبل الفجر هيا بنا
و نور الصباح تراءى لنا يدي في يديك ...لنقم هنا بقدس الحياة بأحلامنا
لنمحو عدوا لأوطاننا.....و نبني تمثالا لأبطالنا
و نبني الحياة لأطفالنا و نبني السلام لأجيالنا

هي دعوة صريحة من جزائري إلى إخوانه الجزائريين داخل الوطن أو خارجه إلى العمل سويا و وضع اليد في اليد من أجل مواجهة الاستعمار و تحطيم القيود حتى يتم بناء السلام و حياة أفضل للأجيال³.

05. اللاجئون الجزائريون :

من متا لا يدرك ما عاناه اللاجئون الجزائريون إبان الفترة الاستعمارية ؟ ، إنها مأساة إنسانية بكل المقاييس ، عاشوا مشردين في الحدود ، منهم من يبيت في العراء ، و منهم و من لم يجد قوت يومه ، و منهم من صارع ويلات الاستعمار ، و تتبع أثره حتى داخل الأراضي المستقلة لكل من تونس و المغرب ، إنهم عشرات الآلاف شكّلوا تجمعات بشرية

¹ . يحي بوعزيز ، "ما هكذا نبغي الأدب يا شباب الأدب..." ، نفسها ، عدد 1543 ، تاريخ (1956/12/28) ، ص 04 .

² . عبد الحق شريط ، " شعب الجزائر " ، جريدة العمل ، عدد 1430 ، تاريخ (1960/05/29) ، ص 07 .

³ . محمد عبد الله التواتي ، "سلاما...أخي في الجزائر" ، الجريدة نفسها ، عدد 1049 ، تاريخ (1959/03/08) ، ص 09 .

هائلة دفعوا ثمن الحرب التي لا ت بقي و لا تذر ، و انتظروا اليوم الموعد بعد سنوات عجاف من المعاناة ، إنهم جزء من النضال الجزائري .
هذه الفئة التي كثيرا ما تناسى الكتاب و الشعراء و المؤرخون الحديث عنها، إما عن جهل أو غفلة ، و مع هذا فقد وجدت اهتماما من بعض الجزائريين الأدباء المقيمين في تونس أيام المحنة، منهم الشاعر " صالح خرفي " الملقب بـ " أبو عبد الله صالح الجزائري " ، هذا الأخير نظم قصيدة في شأن اللاجئ الجزائري عنوانها بـ " أنشودة اللاجئ الجزائري " نختار بعضها مما جاء فيها :

أنا لاجئ عبثت به يد العدا لكنني سأكون في وطني غدا
أنا إن غدوت معذبا و مشردا فلأجل تحريري سأعتنق الردى
الاعتراب عن الديار الالتجاء و الافتقار
أنا أبعدتني النائبات عن الوطن و قسا على شعبي ببلواء الزمن
فلقد غدوت معززا رغم المحن أشقى ليسعد موطني

يا ويل من داس الحقوق و من ظلم من سطوة المظلوم للنار احتكم
أنا قد وثبت و لن أعود أو أسترثى الجدود
بالنار و الدم و الحديد ما يوم تحرير الجزائر بالبعيد¹
06. أدب الثورة لدى الكتاب الجزائريين :
أ. دور الشعر النشيد في الثورة :

لقد أدى الأدب بجميع ألوانه دورا كبيرا و مهما في إذكاء نار الحمية في نفوس المواطنين للقيام بمهامهم لتحقيق أية قضية قومية أو وطنية أو حتى إنسانية ، و الجزائريون كغيرهم أيضا أكسبهم أدب الثورة عزيمة و دافعا أكثر للاهتمام بالقضية الوطنية الأولى و هي التحرر ، و لعل الشعر من بين الألوان التي كان لها دور في تعبئة الجماهير الجزائرية للتمسك أكثر بالعمل الثوري لما يتضمنه من كلمات ذات دلالة قوية ، و عليه يرى محمد ناصر : " أن المفهوم الذي يطرحه شعراء الثورة التحريرية نابع من تصورهم للدور الذي يجب أن يلعبه الشعر الثوري ، و وظيفة هذا الشعر و علاقته بالجمهور ، و دوره يجب أن لا يختلف في أي شيء عن دور القائد المحنك الذي يدفع الجيوش أو يقودها إلى ساحة القتال " ² ، و يقول مفدي زكريا عن أهمية الشعر الثوري

¹. أبو عبد الله صالح الجزائري، " أنشودة اللاجئ الجزائري " ، العمل نفسها ، ع 746 ، تاريخ (1958/03/18) ، ص 08 .

². محمد ناصر ، " شعر الثورة من جانبه الفني " ، مجلة الثقافة ، عدد 86 ، الجزائر ، 1985 ، ص 130 .

" : لم أعن باللهب المقدس بالفن و الصناعة ، غايقي التعبئة الثورية و تصوير وجه الجزائر الحقيقي ، بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته الطفولة " ¹ ، أما أبو القاسم سعد الله فيقول عن تجربته الشعرية بيت 1950 و 1960 قائلا : " انصهرت في هذا الشعر عاطفتان لا تكادان تنفصلان : العاطفة الذاتية و العاطفة الوطنية فكلتاهما تتميز بالتمرد و التحدي و الجموح " ²

ما يمكن قوله بالنسبة للشعر الذي نظمته الأخوة في تونس كان شعرا ثوريا يقوم بالتعبئة و يدعو إلى التمرد و التحدي و يشجع على الاستشهاد في سبيل الحرية و الوطن كما يعكس الأحداث التي مرت بها الجزائر أثناء الثورة و ما عرفته من تحديات دفعت بالشعب إلى التضامن و التعاطف ، و هو إرث تاريخي تعزز به الأجيال على مر السنين.

الأستاذ الكاتب " عبد الله ركيبي " يبين دور الشعر النشيد في تدعيم الثورة، فمن ضمن ما جاء به أن الشعر الجزائري يمتاز بكونه شعر نشيدي بحيث أن الصفة الغالبة عليه هي الإحساس الذي يطغى على موسيقاه و على وزنه و ألفاظه فهو شعر المعركة الذي يتجاوب مع وقع خطوات الجندي في الميدان و يتماشى مع وثباته إلى المعركة ، و السبب في ذلك يرجع الكاتب إلى شوق الجزائري للحرية و شعوره الحاد بالاضطهاد و الظلم ، و حسب الكاتب فإن رائد هذا اللون من الشعر . دون منازع . هو الشاعر " مفدي زكريا " لديه نشيد الثورة الخالد " قسما " و نشيد " العلم " و نشيد " الطالب الجزائري " و غيرها من الأناشيد الحساسة الثورية و لكن أقواها جميعا و أشدها تأثيرا في النفس و أخلدها على مر الزمن هو نشيد الثورة الذي تردده الملايين و ترجع صدها جبال الجزائر و تسير على وقع خطاه جنود جيش التحرير و هم يخوضون المعركة ... معركة الحرية ، فنشيد " قسنا " ³ هو التعبير الحقيقي عن آمال الجزائر ، و عن خواطر و خلجات أبنائها و بالتالي هو اللسان الفصيح للثورة الجزائرية العارمة ، فكل الكلمات معبرة قوية موحية ذات دلالة منها على سبيل المثال لا الحصر :

¹ . نفسه ، ص 128 .

² . أبو القاسم سعد الله ، الزمن الأخضر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص

³ . النص من نظم الشاعر مفدي زكرياء و تلحين المصري محمد فوزي ، و فكرة كتابة هذا النشيد تعود إلى أيام جوان 1955 في بيت عبان رمضان يوم اجتماعه بكريم بلقاسم و بن خدة و أحمد بودة و عمارة رشيد ، أين عبر هذا الأخير عن حاجة الثورة إلى نشيد للجزائر ، فتشاور مع مفدي زكرياء ، و خلال أيام فقط كان النشيد جاهزا ، و ذهب به زكرياء مفدي إلى تونس لتلحينه من قبل أحد التونسيين و لكن لم يكن في مستوى قوة النشيد ، فما كان منه سوى الذهاب إلى القاهرة ، أين وجد الموسيقار محمد فوزي الذي قبل بتلحينه و اعتبره هدية للشعب الجزائري ، عاشور شرفي ، قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962 مرجع سابق ، ص . ص 360 . 361.

قسما بالنازلات الماحقات *** و الدماء الزاكيات الطاهرات
و البنود اللامعات الخافقات *** في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا في حياة أو ممات *** و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا فاشهدوا فاشهدوا
نحن جند في سبيل الحق ثرنا *** و الى استقلالنا بالحرب قمنا
لم يكن يصغي لنا لما نطقنا *** فاتخذنا رنة البارود وزنا
و عزفنا نغمة الرشاش لحنا *** و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا فاشهدوا فاشهدوا

إن مفدي زكريا برز في هذا الميدان ، إنه شاعر الثورة بحق شاعر الحماسة، و
الإثارة، شاعر يعبر عن المعركة الدائرة رحاها في الجزائر الثائرة، ليس فقط في هذا
النشيد، بل في غيره من الأناشيد الأخرى ، بل و في كل قصائده ¹ .

أما الأديب الجزائري المسمى " أبو زيد عدنان " فكان له أيضا رأي في مفهوم أدب
الثورة ، اعتبر أن الثورة ليست التغيير الجذري المتعارف عليه لغويا و إنما فسرها من
منحى آخر في مقال في صحيفة البلاغ " ² ، على أنها سوء تكييف بين طرفين قد وصل إلى
حد اختل فيه التوازن، و منها أن الشعور بسوء التكيف شرط أساسي لوقوعها ، و هو
بهذا يقول أن هناك سوء تفاهم و تكييف بين شعبين و يقصد . الجزائري و الفرنسي . وصل
إلى حد اختلال التوازن بينهما فكانت الثورة " ، ثم يواصل تحليله لقيام الثورة الجزائرية :
" أن وقوع الثورة لا تعني نفاذ الصبر كما هو شائع ، و إنما نفاذ الصبر معناه نفاذ الطاقة ،
و هذا يستحيل تأثيرها عند النفاذ ، الأمر الذي يعطي لنا صورة على أن الصبر هنا له
دلالة كمية أي عددية و ليست كيفية و شتان بين الكمي و الكيفي " ، و الثورة في نظره
هو تحول الصبر إلى طاقة خارجية يقول : " فالخطوة الفاصلة إنما هي تحول الصبر إلى
طاقة خارجية ، أما و قد تحول فإنها لن تهمد و لن تزول حتى تبلغ نهايتها الطبيعية ، فويل
يومئذ لمن صادفته هذه الطاقة الجبارة " ³ .

¹ . عبد الله ركيبي ، " دور الشعر النشيد في تدعيم الثورة الجزائرية " ، جريدة الصباح ، عدد
3027 ، تاريخ (1962/05/03) ، ص 04 .

² . جريدة البلاغ ، جريدة سياسية إخبارية جامعة ، أصدرت أول أعدادها يوم 21 أوت 1954
، و هي قريبة من الحزب الدستوري الجديد ، و مديرها أبو عثمان القبطوني و آخر أعدادها صدر
في 06 ديسمبر 1955 .

³ . أبو زيد عدنان ، " من الأدب الجزائري الحديث ، الثورة " ، جريدة البلاغ ، عدد 1954 ، تاريخ
(1957/11/07) ، ص 02

تدخل جميع هذه الكتابات أثناء الثورة فيما يعرف بأدب النضال و الذي كان مرآة عاكسة لمختلف الأحداث و التطورات التي عرفت الثورة ، و تعبر أيضا عن آمال الشعب الجزائري و رغباته ، بل و معاناته و صموده في سبيل الحرية و الاستقلال .

من ناحية أخرى تعتبر إرثا فنيا و ثقافيا فعالا و محركا للواقع و مشجعا على التغيير و سلاحا لتحطيم قيود الاستعمار¹ ، أما المناضل رانز فانون فيقول : " ...نحن هاهنا أمام أدب كفاح بالمعنى الأصلي للكلمة ، و لأنه يحدو الشعب بأسره بل النضال في سبيل الوجود القومي ..."²

إذا ألقينا نظرة على مجمل الإنتاج الأدبي و الفكري الذي ظهر في تونس أثناء الثورة نجده لا يخرج عن نطاق الوعي القومي الثوري و الاعتزاز بالمرورث الحضاري العربي الإسلامي و رفض قوي و صريح لطروحات الثقافة الاستعمارية و نظرتها و معاييرها السائدة في شمال إفريقيا .

إنها ثورة ميدانها الفكر التحرري من الرواسب الكولونيالية ، و حول هذه الفكرة يوضح فانون قائلا : " ...إن أولئك الرجال و النساء الذين يقاتلون الاستعمار الفرنسي في الجزائر الاعزلون ، إنما يقاتلون جميعا في سبيل الثقافة القومية ...و التي حطّمها الاستعمار حتى أصبحت جامدة متحجرة"³

إن الثورة هنا بالمفهوم الشامل لا يقتصر الهدف من التخلص من المحتل و استرجاع الحرية و إنما التخلص من ثقافة المحتل و استرجاع ثقافتنا القومية الأصيلة .

إن النخبة الجزائرية بتونس أثناء الثورة ، ساهمت بكل ما لديها من إنتاج فكري و فني ، مستغلين الظرف الذي كانت تعيشه تونس آنذاك بعد استقلال (1956. 1962) ، و الكم الكبير من الصحف المتنوعة التي فتحت صفحاتها لما تجود بها قرائح الشعراء و القصاصيين و الكتاب و غيرهم ، فجاءت كتاباتهم متعددة و متنوعة من شعر و قصة و مقال و حتى مسرح ، معبرين عن الواقع الجزائري المتميز بالثورة و عنفوانها ، و لسان حالهم يقول : إذا كان المجاهدون في ساحات المعارك يستشهدون من أجل الاستقلال فنحن أيضا كنخبة لنا واجب أيضا و هو المساهمة في الإعلام الثوري الذي لا يختلف فيه عاقلان أنه أحد المعارك التي يجب أن تسير جنبا إلى جنب مع الثوار في الميدان .

¹ . أنيسة بركات ، " أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 إلى الاستقلال " ، مجلة الثقافة، عدد 95 ، الجزائر ، 1985 ، ص 292 .

² .فرانز فانون، معذبو الأرض ، ترجمة : سامي الباروني و جمال الاتاسي ، ط 3 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1979 ، ص 229 .

³ . نفسه ، ص . ص 137. 139 .

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر:

1. الصحافة المكتوبة التونسية:

. جريدة العمل:

جريدة العمل ، يومية تونسية ، ناطقة باللغة العربية ، تأسست في جوان 1934 تحت إدارة حبيب بورقيبة ، ناطقة باسم الحزب الدستوري الجديد ، توقفت من قبل السلطات الفرنسية في أوت من نفس السنة ، عادت للظهور في 25 أكتوبر 1955 بنفس الخط السياسي ، و تحت إدارة حبيب بورقيبة ، ثم ترأسها قياديون آخرون بعد تولي بورقيبة الحكم ، بقيت تصدر منذ ذلك الوقت إلى غاية 1988 أين توقفت نهائيا .

. جريدة الصباح:

جريدة سياسية إخبارية جامعة أصدرت أول أعدادها يوم الفاتح نوفمبر 1951 م ، قريبة من الحزب الدستوري الجديد ومديرها الحبيب شيخ روحه ، تعتبر من الجرائد التي ناصرت الثورة التحريرية منذ انطلاقتها إلى إعلان الاستقلال ، و اعتبرت نفسها جريدة المغرب العربي كونها كانت تهتم بقضايا المغرب العربي في كل موادها الإعلامية ، ما تزال تصدر بتونس إلى يومنا هذا

. الاستقلال:

جريدة أسبوعية سياسية إخبارية جامعة ، اللسان الرسمي للحزب الدستوري الحر التونسي القديم ، و أصدرت أول أعدادها يوم 30 ديسمبر 1955 ، و آخر أعدادها صدرت في 22 أبريل 1960 عارضت اتفاقيات الاستقلال الداخلي و مجلة الأحوال الشخصية.

. جريدة البلاغ:

جريدة سياسية إخبارية جامعة ، أصدرت أول أعدادها يوم 21 أوت 1954 ، و هي قريبة من الحزب الدستوري الجديد ، ومديرها أبو عثمان القبطوني و آخر أعدادها صدر في 06 ديسمبر 1955.

. مجلة الفكر:

تأسست في شهر أكتوبر 1955 واكبت الثورة الجزائرية مما جعلها بحق حتى الاستقلال نشرت إنتاجا فكريا و أدبيا كبيرا عن الثورة التحريرية و لم يقتصر نشرها للأخبار العامة و أخبار المعارك بل تضمنت أنتاجا وافرا من المقالات و القصائد و القصص و المسرحيات و غيرها ، ترأس تحريرها محمد مزالي ، و كتب فيها العديد من الجزائريين منهم : الطاهر و طار و مصطفى الأشرف و صالح خرفي و رشيد بوجدر و الجنيد خليفة و حنفي بن عيسى و عبد الله ركيبي و غيرهم.....،

2. الكتب:

.الإبراهيمي محمد البشير ، عيون البصائر 1963 ، آثار الإبراهيمي 03 مجلدات 1979 ، 1982 ، 1983 ، و في قلب المعركة 1954 ، 1962 ، 1994 .

.سعد الله أبو القاسم ، الزمن الأخضر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 .
.فانون فرانز ، معذبو الأرض ، ترجمة : سامي الباروني و جمال الاتاسي ، ط3 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1979.

ب. قائمة المراجع:

1. الكتب :

. الموسى عصام سليمان و آخرون ، أعلام الصحافة في الوطن العربي ، الموسوعة الصحفية العربية ، ج 6 ، المجلد 1 ، تونس ، 1997 .
 . الجابري محمد صالح ، النشاط الثقافي و العلمي للمهاجرين الجزائريين في بتونس 1900 . 1962 ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1983 .

2. القواميس :

. شرفي عاشور ، الكتاب الجزائريون ، قاموس بيوغرافي ، تع: مصطفى ماضي ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2008 .
 . شرفي عاشور ، قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962 ترجمة : عالم مختار ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2007
 . مقلاتي عبد الله ، قاموس أعلام شهداء و أبطال الثورة الجزائرية ، ط1 ، دار بلوتو للنشر ، الجزائر ، 2008 .

3. المقالات :

. الجابري محمد صالح ، " من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس و الجزائر " ، مجلة الحياة الثقافية ، العدد 32 ، تونس ، 1984 .
 . بركات أنيسة ، " أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 إلى الاستقلال " ، مجلة الثقافة ، عدد 95 ، الجزائر ، 1985 .
 . بن قينة عمر ، " المسار النضالي في القصة الجزائرية " ، مجلة الحياة الثقافية ، عدد 32 .
 . ناصر محمد ، " شعر الثورة من جانبه الفني " ، مجلة الثقافة ، عدد 86 ، الجزائر ، 1985 .

4. الرسائل الجامعية :

. شطبي محمد ، العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية 1954 . 1962 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، إشراف عبد الكريم بوصفصاف ، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية ، قسم التاريخ و الآثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009 .